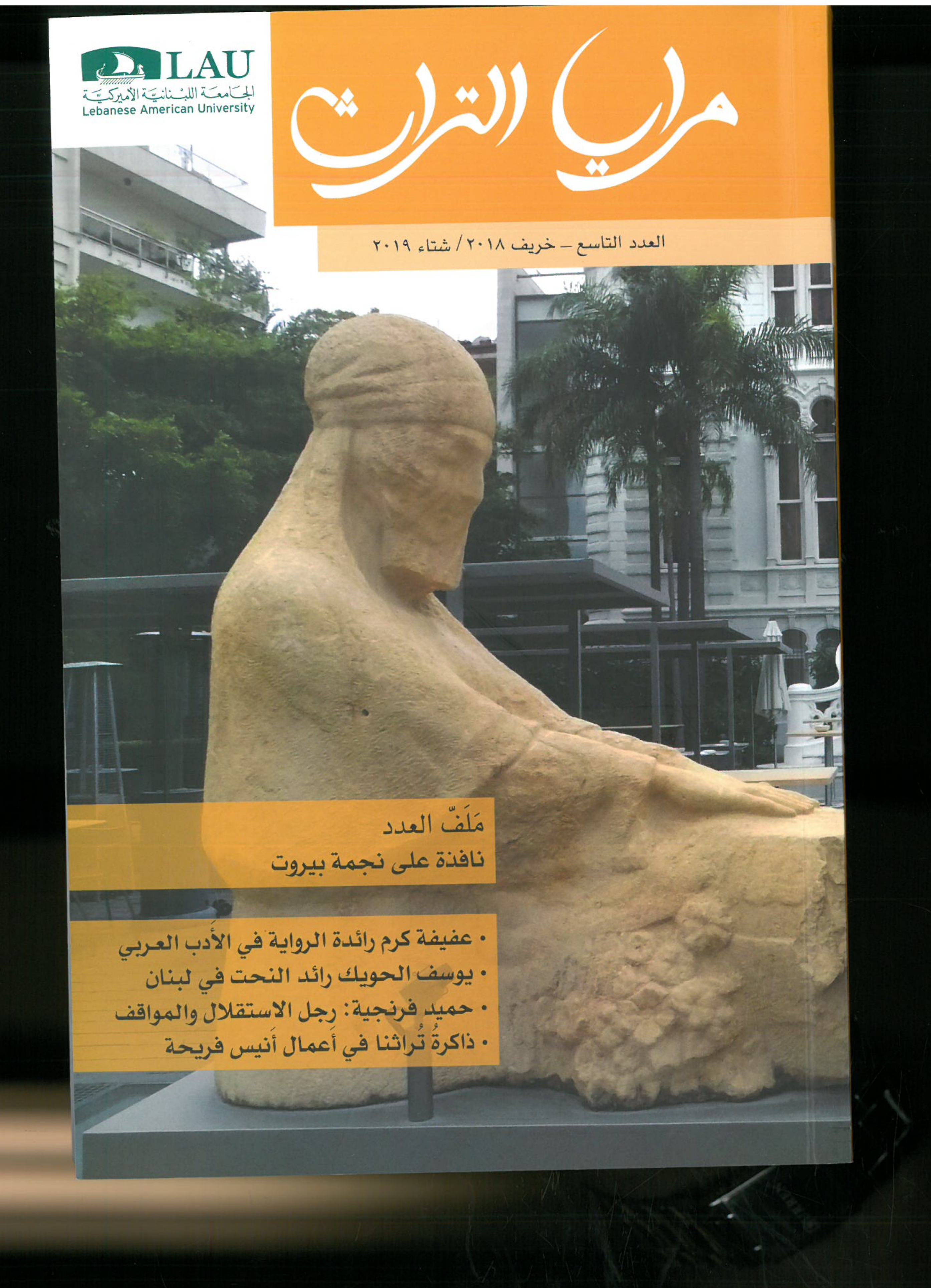
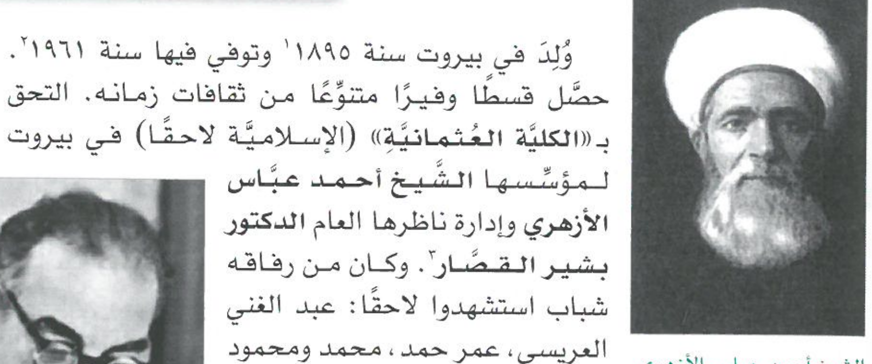

LAU
الجامعة اللبنانية الأميركية
Lebanese American University
مرايا التراث
العدد التاسع – خريف ٢٠١٨/ شتاء ٢٠١٩
مَلَفّ العدد
نافذة على نجمة بيروت
• عفيفة كرم رائدة الرواية في الأَدب العربي
• يوسف الحويك رائد النحت في لبنان
• حميد فرنجية: رجل الاستقلال والمواقف
• ذاكرة تُراثنا في أَعمال أَنيس فريحة

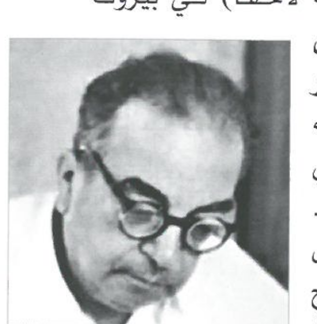
عمر الزّعنّي شاعِرُ الشَعب وعاشِق بَيْرُوت

شاهِدٌ على تراث شفويّ ثقافيٍّ – سياسيٍّ – اجتماعيٍّ

د. وجيه فانوس
الأمين العام لاتحاد الكتّاب اللبنانيين



الشيخ أحمد عباس الأزهري



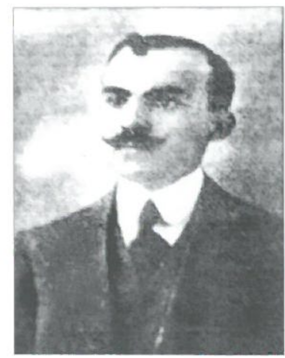
وُلِدَ في بيروت سنة ١٨٩٥[1] وتوفي فيها سنة ١٩٦١[2]. حصَّل قسطًا وفيرًا متنوِّعًا من ثقافات زمانه. التحق بـ«**الكليَّة العُثمانيَّة**» (الإسلاميَّة لاحقًا) في بيروت لمؤسِّسها **الشَّيخ أحمد عبَّاس الأزهري** وإدارة ناظرها العام **الدكتور بشير القصَّار**[3]. وكان من رفاقه شباب استشهدوا لاحقًا: عبد الغني العريسي، عمر حمد، محمد ومحمود المحمصاني، على حبل مشنقة جمال باشا سنة ١٩١٦[4]. بعد **الكليَّة العثمانيَّة**، تخرَّج الزعني إبّان الحرب العالميَّة الأولى ضابطًا إداريًّ

١) كانت بيروت، فترتئذ، ولاية عثمانيَّة قائمة بذاتها، يدير شؤونها وال تُعَيِّنه الآستانة؛ لذا اكتسبت ثقلًا سياسيًّا واقتصاديًّا في المنطقة، فاهتمّت بها الدُّول الأوروبيَّة، وباتت محطّ القناصل الأوروبيين وتنافسهم خدمة لمصالح بلدانهم، انطلاقًا من جعلهم بيروت ممرًّا إلى الكثير من مقدرات الدَّولة العثمانيَّة. فيليب حتِّي، **لبنان في التَّاريخ**، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩، ص. ٥٢٤؛ داود وابراهيم كنعان، **بيروت في التَّاريخ**، لا.ت.، ١٩٦٣، ص. ٩٧-٩٩.

٢) باتت بيروت عاصمة لبنان ومركز استقطاب تجاري واقتصادي وسياحي وثقافي وسياسي عربيًّا وعالميًّا. حليم بركات، **المدينة الملوَّنة**، دار السَّاقي، بيروت، ٢٠٠٦؛ كمال ديب، **الثَّقافة والهويَّة من جبران إلى فيروز**، دار النَّهار للنَّشر، بيروت، ٢٠١٠؛ رهيف فاضل، **من العمارة إلى المدينة**، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٠؛ ميشال عاصي، **من أيَّام الضَّوء والظَّلام**، دار النَّهار للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ١٩٩٤.

٣) سمير الزعني، **عمر الزعني الثائر**، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٠؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، الجزء الثاني، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢، ص. ٥٧؛ وجيه فانوس، **عمر الزعنّي وشعره**، رسالة الكفاءة، كلية التربية، الجامعة اللبنانية، ١٩٧٣.

٤) عمر فاخوري، **الباب المرصود**، دار الثقافة، بيروت، لا.ت.، ص. ٦٢؛ سميح الزَّين، **قصَّة شهداء الوطن** – ٦ أيَّار، لا.ن. ١٩٩٦؛ عبد الكريم الحسني، **القوميَّة والديمقراطيَّة والثَّورة**، شمس للنَّشر والإعلام، لا.ت.، ص. ١٥٢.



الشهيد محمَّد المحمصاني

من «**المدرسة العسكرية العثمانيَّة**» في حمص، وتمَّ تعيينه خلال السَّنوات الأخيرة من الحرب العالمية الأولى، في «**بئر السبع**» (فلسطين) مسؤولاً عن تنظيم الإعاشة العسكريَّة للجُند[٥]. فور انتهاء الحرب التحق بكليَّة الحقوق في الجامعة اليسوعيَّة (بيروت) لدراسة القانون لكنه فُصِل عنها في السنة الأخيرة. وكان من رفاقه فترتئذٍ كميل شمعون وعبد الله اليافي[٦].

في تلك الفترة عمِل الزعنّي مساعدًا قضائيًّا في وزارة العدل، ثم ناظرًا ومدرّس الفرنسية في **الكليَّة الإسلاميَّة** لمؤسِّسها الشَّيخ **أحمد عبَّاس الأزهري**[٧]، وفي **المدرسة الأهليَّة** لمؤسستها السيِّدة **ماري كسَّاب**[٨]، وكانتا من أشهر المؤسسات التَّعليميَّة في بيروت، على اختلاف ما بينهما من رؤى سياسيَّة وتعليميَّة. وهنا مقدرة الزعنّي في تقبُّل الآخر والمختلف والتَّعاون الإيجابي معهما خدمة للوطن وتربية للنشء وحُسنِ تعليمه. كما أسهم الزعني في تأسيس «**جمعيَّة الكشاف المسلم**» في لبنان، وأصبح من قادة الكشَّاف فيها، وساهم في تحرير «**مجلة الكشَّاف**» التي كانت تصدر عن هذه الجمعيَّة بدءًا من ١٩٢٧[٩].

وتزامل عبر الحركة الكشفيَّة مع نخبة متثقَّفين: الصَّحافي والسِّياسي **محيي الدِّين النُّصولي** والأديب والنَّاقد **عمر فاخوري** والكاتب المسرحي

٥) من مقابلات أجريتُها سنة ١٩٧٢ مع أفراد (تُوُفُّوا اليوم) من أسرة الزعني وبعض زملائه وأصدقائه: شقيقه سعد الدين، زوجته بهية ضيا الحمزاوي، عبد الله المشنوق، صلاح الدين اللبابيدي، داود بيزنطيان.

٦) من مقابلة أجريتُها (في ١٩٧٣/٢/١٦) مع صديق الزعني وشريكه في مكتب المحاماة الشاعر صلاح الدين اللبابيدي، في منزله (حي المنارة – بيروت)، ومقابلة أخرى (في ١٩٧٣/٢/٢٠) مع الوزير عبد الله المشنوق في مكتبه (شارع بشارة الخوري – بيروت).

٧) أسسها سنة ١٨٩٥، سنة ولادة عمر الزعنّي الذي التحق بها تلميذًا وتخرج منها بشهادة العالميَّة.

٨) أسستْها سنة ١٩١٦.

٩) تأسست الجمعيَّة في ٣٠ أيلول ١٩٢٠ بتوجيه الشيخ توفيق الهبري وبدعم مالي مباشر من سعد الله العيتاني، ومن مؤسسيها: سعيد وعبد الله دبُّوس وعبد الرحمن ومحي الدين قرنفل وعمر الأنسي، وصدر ترخيصها الرَّسمي بموجب «علم وخبر» في ١٩٢١/٦/٢٩. **جمعية الكشاف المسلم في لبنان: مائة عام في خدمة الناشئة: مع صور ووثائق نادرة**، بيروت، ٢٠١٠.



محي الدين النصولي
باللباس الكشفي

رائف فاخوري، وبعض أهل التِّجارة والشَّأن العام كأحمد أياس وحسين العويني وصلاح بيهم ومحمد عمر منيمنة.

وزاول الزعني نشاطًا أدبيًّا ومسرحيًّا فشارك سنة ١٩٢٠ على مسرح «الكريستال» – بيروت، في تمثيل مسرحيَّة «**جابر عثرات الكرام**» للشَّيخ رائف فاخوري[١٠]، بتأديته شخصيَّة الشاعر «**حُنَيْن**»؛ وفي فترة الاستراحة (على عادة المسرحيات في تلك الحقبة) كان يقدِّم «**وصلة**» مغناة من الإنشاد الانتقادي الوطني. وإذ كان موظَّفًا حكوميًّا برتبة مساعد قضائي، كان ممنوعًا عليه الظهور المسرحي والغناء، اتخذ «حُنين» اسمًا فنيًّا، مستوحيًا إياه من شخصيَّته في «**جابر عثرات الكرام**»؛ فاشتُهِر منذئذٍ باسم «**الأستاذ حنين**»[١١]. وفي إحدى تلك الاستراحات أَنْشَدَ قصيدة «**الدُّنيا قايمة والشَّعب غافل**»؛ وهي مونولوج مستوحىً من لحن طقطوقة «**مليحة قوي القِلل**[١٢] **القِناوي**» الشَّهيرة في حينه للشَّيخ **سيد درويش**، أشار فيها الزعنّي إلى تضييع النَّاس طريق النِّضال الوطني طلبًا للحريَّة، متلهِّين بالبحث في موضوع سفور المرأة وحجابها:



عمر الزّعني في العقد الثاني
من القرن العشرين،
حين اشتُهِر باسم «الأستاذ حنين»

الدُّنيا قايمة والشَّعب غافل   راحت بلادكم ما حَدِّ سائل
الحق عليكم ولاّ على مين؟!   شوفوا البلايا شوفوا الرَّزايا
والشَّعب قايم على الملاية   نسيوا الحماية نسيوا الوصاية
ما حدِّ فاهم إيه الحكاية   والطَّاسة ضايعة يا مصلحين!

١٠) قاص بيروتي. انتخب بين ١٩٤٣ و١٩٤٩ عضو مجلس أمناء «**جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت**»، وأمين السر. توفي مطلع سنة ١٩٥٤. له مسرحيَّات منها «**جابر عثرات الكرم**» و«**الرِّيال الزَّائف**».

١١) محمَّد كريِّم، **المسرح اللبناني في نصف قرن ١٩٠٠-١٩٥٠**، دار المقاصد للطباعة والتأليف والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.

١٢) «**قِلَل**»، جمع «**قِلَّة**» بالمحكيَّة المصريَّة: إناء فخاريٍّ يوضع فيه الماء لتبريده.

عيونكم نايمه يا رجال غليظه   والدَّم فاير زي الكازوزة
قمتوا عَ حيلكم على العنطوزة   وهمتكم رخوة زي البالوظة
بتبيعوا الأوطان بسلَّة تين

هذا النهج، بما فيه من رؤية وطنيَّة انتقاديَّة ضمن مباشرةٍ تعبيريَّة وعبر بِناءٍ لحنيٍّ شعبيٍّ، كان فاتحة أحداثٍ غيَّرت حيَّاة عمر الزعني لانتشارها وشهرتها بين الناس، انطلق منها الزعنّي إلى تأسيس هويَّته الأدبيَّة والفنيَّة في الإنشاد الانتقادي.

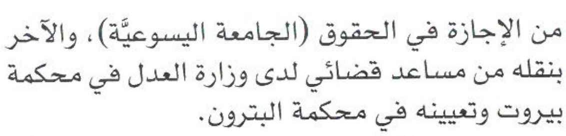
هكذا بدأ اندفاعه بالأغنية الانتقادية السِّياسية الاجتماعية، أذاعها منذ ١٩٢٠ على خشبة «**مسرح الكريستال**» في بيروت وبقي عليها حتى وفاته، فكان فعلاً ناقدا شعبيًّا شاهدًا على وقائع العيش في لبنان، بين النصف الأوَّل من القرن العشرين ونهاية العقد الأوَّل من النصف الآخر.

تعاظمت شهرة عمر الزَّعني شاعرًا انتقاديًّا جريئًا في المجالين السِّياسيِّ والاجتماعيِّ، وانتشرت في الناس قصائده وأغانيه الشَّعبيَّة، خصوصًا تلك التي كان يهاجم فيها ما يُحيقُ بالوطنِ من تعنُّت سُلطةِ الانتداب الفرنسيِّ. واندلعت سياسيًّا وشعبيًّا شهرةُ قصيدته «**حاسب يا فرنك**»[13]، التي هزِئَ بها من التَّدهور الاقتصادي أيام سلطة المنتدَب الفرنسيِّ جرَّاء تراجع سعر «الفرنك الفرنسي» أمام العملات الدوليَّة الكبرى:

حاسِب يا فرنك، يا فرنك حاسِب   فهِّمنا لوين بعدك ساحِب
ما خَلِّيت محب ولا صاحِب   أهلك جافوك، والأجانب:
فرحانين، شمتانين،   ناويين محوك، ما بيناسب
يا فرنك، دخلك حاسب   حاسب يا فرنك وشِد فرامك
شوف المارك والكراون قدَّامَك   من لُطْفَك أو من إنعامَك
ارحمنا نحنا بغرامك   مجبورين، محرومين
طالبين عفوَك وإحسانك   حاسِب يا فرنك وخُد لك دَوْرَه
بتطلع سَنْتي بتنزل عشرة   مش كل مرَّه بتسلم الجرَّه
الله يجيرَك من هالمرَّة   قولوا آمين، يا سامعين، يا مفلسين
العيشة بعدك مُرَّة

بسبب هذه الأنشودة الانتقاديَّة أصدر المفوض السامي الفرنسي قرارين: الأول بفصل عمر الزعني الطَّالب الجامعي في السَّنة الأخيرة

١٣) فؤاد صالح السيِّد، **أعظم الأحداث المعاصرة**، مكتبة حسن العصرية، بيروت، ٢٠١٥، ص. ٤٤٤.


في الثلاثينات من عُمره

من الإجازة في الحقوق (الجامعة اليسوعيَّة)، والآخر بنقله من مساعد قضائي لدى وزارة العدل في محكمة بيروت وتعيينه في محكمة البترون.

كان لذينِكَ القرارَين وقعهما المصيري على حياة الزعني، فتخلّى عن وظيفة المساعد القضائي لصعوبة انتقاله إلى البترون، وتركَ الجامعة مرغَمًا. لكنه أسس في بيروت مع صديقيه المحاميَين **عمر فاخوري** و**صلاح الدِّين اللبابيدي**، مكتبَ محاماة في مبنى من «**ساحة السُّور**»، (اليوم «**ساحة رياض الصُّلح**»). كان الفاخوري واللَّبابيدي يترافعان أمام القضاء، والزعني يتابع الأمور الإدارية والمكتبية العائدة إلى الدَّعاوى التي تناط بالمكتب[14]. حيال هذا الواقع من حريَّة التصرُّف، انصرف الزعني إلى نظم القصائد الانتقاديَّة وتلحين بعضها وغنائه أمام جمهور راح يتزايد حتى وجد الزعنِّي إمكان التَّفرُّغ لهذا الشَّأن، بلوغًا إلى تأسيس مؤسَّسة لطبع الأسطوانات ونشرها: «**زعنّي فون**»[15].


المفوَّض السَّامي هنري دي جوفنيل

في ٢٣ أيَّار ١٩٢٦، وللمرَّة الأولى منذ الانتداب، عيَّنت الحكومة الفرنسيَّة مندوبًا ساميًا مدنيًّا لها: **هنري دي جوفنيل** (Henry de Jouvenel)[16]. فاتخذ في خطته الإداريَّة السِّياسيَّة نهجًا «**مَدَنيًّا**» غير «**عسكريٍّ**» في إدارة البلد. دعا المجلس النِّيابي إلى وضع دستور للدَّولة، وعند إقراره (١٩٢٦) انتخب المجلس في ٢٦ أيار **شارل دبَّاس** أوَّل رئيس للجمهوريَّة اللبنانيَّة، وبقي في منصبه حتى كانون الثاني ١٩٣٤[17].

١٤) من مقابلتي (آب ١٩٧٢) مع الشاعر صلاح الدين اللبابيدي في منزله (منطقة «المنارة» — بيروت).

١٥) من مقابلتي (آب ١٩٧٢) مع شقيقه سعد الدين الزعني في متجره («الوسط التجاري»، شارع حسين الأحدب تجاه مبنى بلدية بيروت).

١٦) من ١٩٢٥/١٢/٢٣ إلى ١٩٢٦/٦/٢٣. صحافي وسياسي (١٨٧٦/٤/٥- ١٩٣٥/١٠/٥).

١٧) انتخبه المجلس النيابي ومجلس الشيوخ (برئاسة **الشيخ محمد الجسر**) لمدّة ثلاث سنوات على ما كان ينص الدستور حينها. ثم أعاد انتخابه لولاية أخرى في تموز١٩٢٩. شكل حكومته الأولى في ٣١ أيّار ١٩٢٦ برئاسة **أوغست باشا أديب**. وفي ٢٧ آذار ١٩٢٩ قبل انتهاء ولاية الدباس بشهرين، اجتمع المجلس النيابي وجدّد انتخابه ◄

تأرجَحَت إدارة دبّاس بين الولاء لسلطة الانتداب ومحاولات، متعثّرة غالبًا، لإرضاء السّياسة المعارضة الانتداب. لم تتجه الشّكوى الشّعبيَّة من عهده مباشرة إلى شخصه، بل هاجمت ناس إدارته، منتقدة أوضاعًا أدَّت إلى تعيين المفوَّض السّامي الفرنسي إياه في المنصب الرّئاسي. وكان عمر الزّغنّي صوتًا صارخًا بجرأة وقوة ووضوح، فأطلق أنشودة انتشرت حتى اضطرت الحكومة إلى مصادرة نسخ أسطوانة هذه الأنشودة:

الرَّئيس شارل دبَّاس

البحر كبير، يا ريِّس   بحرية حمير، يا ريِّس
فرحان كتير، يا ريِّس   لأنَّك ريِّس، يا ريِّس
أمر الله وحَكَم، يا ريِّس   وعطيوك العَلَم، يا ريِّس
وبغطّة قلم، يا ريِّس   عَمَلوك ريِّس، يا ريِّس
الرِّيح سْمِيِّه، يا ريِّس   فين رايح فِيِّ، يا ريِّس
بقولَّك حُرِيَّة، يا ريِّس   ما خَرْجَك ريِّس، يا ريِّس.

تأثَّر لبنان، كسائر الدول، بأزمة اقتصاديَّة كبرى عاشتها أميركا ثمَّ أوروبا في مطلع الثلاثينات[18]. ومع الضُّعف الاقتصادي العام ظهر خلَلٌ في الإدارة والتِّجارة والاجتماع، ساهم في قَلْبِ معادلات اجتماعيَّة وسياسيَّة اعتاد البلد أن يقوم عليها. انطلاقًا من هنا أنشد الزغني قصيدته الشهيرة «**بيروت**» صوَّر فيها بمرارة واقعيَّة أحوال النَّاس:

يا ضيعانك يا بيروت   الخواطر   مكسورة
والنُّفوس   مقهورة   والحريِّة   مقبورة

رئيسًا بأكثرية ٤٢ صوتًا؛ تشكَّلت آخر حكومة في عهد الرَّئيس الدباس برئاسة أوغست باشا أديب في ٢٥ آذار ١٩٣٠ واستمرت حتى ١٠ أيار١٩٣٢. شهد عهد دباس تنظيمات سياسيَّة وإداريَّة منها: تنظيم المحاكم العدليَّة، تأسيس شهادة «**البكالوريا اللبنانية**»، إصدار مرسوم بإنشاء المتحف الوطني، وضع النشيد الوطني اللبناني، وتعديل الدستور مرّتين (١٩٢٧: دمج مجلس الشيوخ بمجلس النواب، و١٩٢٩: جعل ولاية الرَّئيس ست سنوات غير قابلة للتجديد بدلاً من ثلاث). ولكن دباس رفض أن يستفيد من هذا التعديل.

١٨) عُرفت بتسمية Great Depression وهي أزمة اقتصادية بدأت سنة ١٩٢٩ واستمرَّتَ إلى بداية الأربعينات، وكانت إحدى أكبر الأزمات الاقتصادية في القرن العشرين. وقد انطلقت الأزمة من الولايات المتَّحدة الأميركية، ويقول المؤرخون إنها بدأت مع انهيار سوق الأسهم الأمريكية في ٢٩ تشرين الأول ١٩٢٩ بما سُمّي يومها «**الثلاثاء الأسود**».




والكلام   للنبُّوت   الجهَّال   حاكمين
والأرذال   عايمين   والأنذال   عايشين
والأوادم   عمّتموت   ما فيه هيبة ولا وقار
بالأحكام   استهتار   وينما مشيت لعب قمار
في النَّوادي والبيوت   الغريب   بيتمخطر
والقريب   بيتمرمر   واللي بيفوت ما بيضهر
واللي بيضهر ما بيفوت   يا ضيعانك يا بيروت

في ثلاثينات القرن العشرين وأربعيناته ازداد الاحتكار التِّجاري، وباتت معظم الأمور مرهونةً لمصالح المؤسَّسات المحتكِرة[19]، فكانت إدارة النِّظام الاحتكاري تحت سلطة الانتداب وحجها، ما سبب خسائر هائلة للاقتصاد الوطنيِّ وحجب عنه فرصًا عظمى في الاستثمار والانتاج.

عمر الزّغني
في نهاية الثلاثينات
(يا ضيعانك يا بيروت)

في العقد الثَّالث من القرن العشرين عانى المواطنون من ضائقة ماليَّةٍ صعبةٍ، ومن عدم تمكُّنهم من السَّيطرة على مقدراتهم الانتاجيَّة. فنظامُ الاحتكار كان يضرب رؤوس الأموال غير الخاضعة له، ويرغمها على الخضوع لمصالحه ومآربه. فانبرى عمر الزَغنِّي يندِّد بسياسة الاحتكار فاضحًا ما تُبنى عليه من نهب خيرات الوطن واستغلال منتجاته وتفقير ناسه:

كل شي صار احتكار   المَي والنُّور والنَّار
احتكار   باحتكار   التُّنباك   والدُّخَّان
مزروعات الأوطان   لا محصول الألمان
ولا منتوج اليابان   ما مِنْحكُم على زرعه
ولا مْنِشْرِف على بيعه   حتَّى بِمالنا مش أحرار

١٩) جسَّدت السياسة الاقتصادية التي اتبعتها سلطة الانتداب ما سُمّي «**اقتصاد الاتفاقيات**»، بجعل التبادل التجاري والخدمات المرافقة له حكرًا على المصالح الفرنسيّة. وكانت سلطة الانتداب تكتفي بإنفاق ما تحصله من رسوم جمركية وضرائب غير مباشرة، وكانت نحو ٨٠٪ من مداخيلها. ولم تكن معدلات هذه الرسوم توفر حماية للصناعات الناشئة، ولم يكن ممكنًا رفع هذه المعدلات لأن النخب التجارية كانت تمانع في ذلك.

وما منحكم على المَيْ لا عَ الشَّمس ولا عَ الفَيْ
كل شي نافع كل شي حَيْ طار من إيدينا شوَيْ شوَيْ



عمر الزِّعني مع عائلته
(زوجه السيدة بهية ضيا الحمزاوي
وابنته دلال وابنه محمَّد)





الزعني، على المسرح، زمن الانتداب

قضَت طبيعة العيش أن تبقى معظم الأُسر في لبنان، على اختلاف مناطق سكنها، متلاحمة في ما بينها. وجرى العُرف الاجتماعيُّ أن يتفيَّأ أبناء العائلة العيش تحت جناح الأب أو الجد وبرعايته، في منزل واحد يتوزَّع على غرفة لكل ولد. ولربما كان لبعض الأسر أن تتوسَّع في هذا المجال فتبني مساكن لأبنائها بجوار مسكن الأب أو الجد؛ لكن لا يمكن لأي من هذه المساكن أن تبتعد عن رعاية الأب أو الجد. هذا النِّظام في السَّكن أمّن الرِّعاية العائليَّة والاجتماعيَّة للمنضوين تحت لوائه، ويسَّر مهامهم وغالبًا ما كان معظم الأبناء يتابعون الأبَّ والجدَّ في المهنة التي يرتزقون من العمل فيها.

تغيَّرت بعضُ هذه الأمور مع تطوُّر الزَّمن، خصوصًا في مطلع القرن العشرين إبَّان الانتداب، فلم يعُد بعض أبناء العائلة الواحدة يتابعون مهنة الأب أو حرفة الجدِّ، بل سعوا إلى مجالات مختلفة في العمل وكسب الرِّزق وتأمين الفاعليَّة المجتمعيَّة، وأخذت طبيعة عمل الفرد تترك بصمات لها على وجوده ومدى التصاقه بالأسرة وكيفيَّة علاقاته الاجتماعيَّة والمفهوميَّة مع العائلة بشكل عام.

عاين الزعني هذه التغيُّرات الاجتماعيَّة وعاش ما تبشِّر به من تغيُّر في السُّلوك والقيم والمفاهيم، فوضع قصيدة «**ليلة عُرسي**» وأَنْشَدَها بإيقاع لحنيٍّ فَرَنْسِيٍّ راقص، فلاقت انتشارًا واسِعًا في لبنان وبعض البلدان العربيَّة خلال ثلاثينات القرن العشرين وأربعيناته. وهو اتخذ مناسبة الاحتفال بالعرس رمزًا لبداية حياة جديدة وانطلق على لسان العروس محدِّثًا عن الرُّؤية الجديدة للاستقلال عن العائلة:

ليلة عُرسي، خمسين تاكسي، واقفين عالباب
أوَّل باليش[٢٠]، لاحلُق شاليش[٢١]، واطلع بالكاب
لاحمِل باستون[٢٢]، ألا غارسون[٢٣]، وبشيل الحجاب
أهله بحاره، ونحنا بحاره، متل الأغراب
ما لهم كلام، غير السَّلام، سلام الأحباب
كُلُّه بأمري، كُلُّه بشوري، من غير حساب
إن عجبهم، إن خلَّصهم، يكتبوا الكتاب[٢٤].

ازدهرت صناعة «**النَّايلون**»[٢٥] (Nylon) في العالَم مع بداية ثلاثينات القرن العشرين، وغَزَت مُنتجات هذه الصِّناعة بلدان العالم بُعَيْدَ الحرب

---

٢٠) أوَّل الأمر.

٢١) ترتيب لشعر الرَّأس يكون فيه الشَّعر قصيرًا.

٢٢) عصا.

٢٣) مثل الرِّجال.

٢٤) عقد القِران.

٢٥) ظهر «**النايلون**» سنة ١٩٣٨، فبدأ ظهور هذا النوع من الصناعات (البلاستيكية بشكل عام). مخترع «النايلون» هو **والاس كاروثرز** ومساعدوه في شركة **دو بونت**. كان أول تطبيق عملي للنايلون كمنتج للزبائن سنة ١٩٣٨ عندما تم استخدامه في صناعة شعيرات فراشي الأسنان. ثم وجد تطبيقًا كبيرًا له في تشرين الأول ١٩٣٩ عندما استخدم في صناعة الجوارب النسائية لمشابهته ملمس الحرير ورخص ثمنه. من تفسيرات تسمية هذا المنتج الصِّناعي أن الاسم الذي أُعطيَ لهذا المنتج ناتج عن دمج اختصار لكلمتي **نيويورك** (NY) **ولندن** (LON) فأصبح الاسم **نايلون** (NYLON)؛ أو عندما ضُربَت اليابان بالقنبلة الذرية في الحرب العالمية الثانية أطلق الأميركيون تسمية **النايلون** من الجملة التالية: «**لقد فقدت الآن اليابان القديمة**» (NOW YOU LOSS THE OLD NEPON) وكلمة «**نيبون**»، تعنى اليابان؛ وأعطي تيمنًا بعبارة: «**نو ران**» (No Run) ويقصد بها أنها (**أي النايلون**) لا تتحول أبدًا إلى خيط أي تبقى مشريكة أو متداخلة ببعضها البعض. وتم تغيير الاسم عدة مرات من «**نولون**»، «**نولان**» وصولاً إلى «**نايلون**»؛ كما نسب البعض الآخر تسمية **نايلون** إلى أسماء زوجات مكتشفي هذه المادة (**نانسي، إيفون، لولا، أوليفيا، نينا**).

العالميَّة الثَّانية. وفَّرت هذه الصِّناعة بديلاً أقَّل كلفة ماليَّة لكثير من المنتجات بالمواد التَّقليديَّة الطَّبيعيَّة، لكنها لم تتمكَّن من توفير ما كانت تؤمِّنه المواد التَّقليديَّة الطَّبيعية من جودة وديمومة.

تَرافَقَ ظهورُ مُنتجات «**النَّايلون**» في لبنان مع ظهور فاعليَّة سياسيَّة دوليَّة بقيادة الولايات المتَّحدة الأميركيَّة في البلد؛ وهي فاعليَّة لم تكن بهذا الظُّهور وتلك القوَّة في المراحل التي سبقت. استغل الأمرَ عمر الزعني في أربعينات القرن الماضي فربط بين «**النَّايلون**»، كمنتج صناعيّ من تلك المرحلة، وبين التَّوجُّهات السِّياسيَّة للغرب في بلادنا بقيادة الولايات الأميركيَّة؛ وما تجرُّه هذه التَّوجُّهات على مستويات الوجود السِّياسي والاجتماعي والثَّقافي والصِّناعي في لبنان. ويرى الزعني إنَّ هذه المستويات لا تخالف مبدأ «النَّايلون» الرَّخيص الثَّمن، وصاحب المظهر الخلاَّب، لكنها، مثله، لا تَتَمتَّع بالجودة والدَّيمومة.

عمر الزَّعنّي في آخر أربعينات القرن العشرين

وَيْلُن للنَّاس وَيْلُن، من شر بلاد النَّايلون
صار وينما مشيت، أو رُحت وجيت
مشمَّع، كبابيت، كرتون وشيت، ودم العفريت
نايلون

كل مأكولك، كُل مشروبك، كُل ملبوسك، من طربوشك لبابوجك،
نايلون

المجلاَّت، بالات بالات، والسَّخافات والدِّعايات، حتَّى الويلات
نايلون

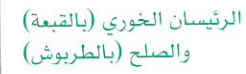
ما خلاَّ باب، دفتر وكتاب، شُعرا وكُتَّاب،
عاملين حساب يِبْعَت نُوَّاب
نايلون

انتُخب الرَّئيس بشارة الخوري أوَّل رئيس للجمهوريَّة اللبنانيَّة بعد الاستقلال واتخذت دورة الحياة السِّياسيَّة اللبنانية مساراتها المتعدِّدة والمتنوِّعة. رأى معظم اللبنانيين إلى رئيس الجمهوريَّة بشارة الخوري، ورئيس الحكومة رياض الصُّلح، على أنَّهما من دعامات الاستقلال الأولى ومن كبار مؤسِّسي دولة الاستقلال. لذا، مع انتهاء الولاية الرئاسيَّة الأولى

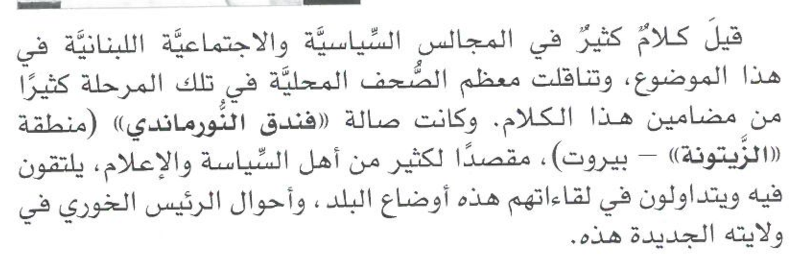




للرَّئيس الخوري تم التجديد له إلى ولاية ثانية؛ لكن هذه الولاية شهدت تراجعًا في شعبيَّة الرَّئيس الخوري وتراخيًّا في قدراته على إدارة شؤون الدَّولة[٢٦].

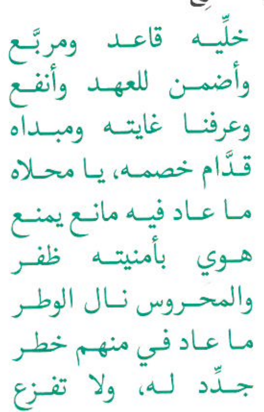


الرئيسان الخوري (بالقبعة) والصلح (بالطربوش)

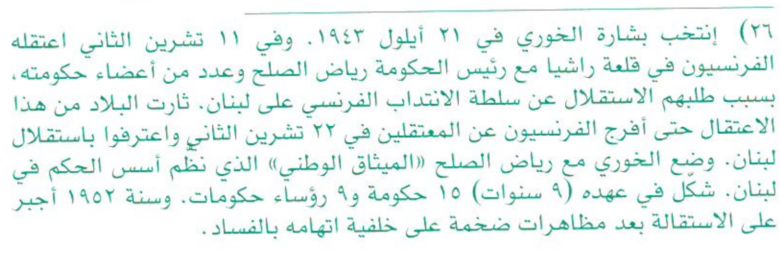


قيلَ كلامٌ كثيرٌ في المجالس السِّياسيَّة والاجتماعيَّة اللبنانيَّة في هذا الموضوع، وتناقلت معظم الصُّحف المحليَّة في تلك المرحلة كثيرًا من مضامين هذا الكلام. وكانت صالة «**فندق النُّورماندي**» (منطقة «**الزَّيتونة**» – بيروت)، مقصدًا لكثير من أهل السِّياسة والإعلام، يلتقون فيه ويتداولون في لقاءاتهم هذه أوضاع البلد، وأحوال الرئيس الخوري في ولايته الجديدة هذه.

وكان عمر الزعني، كسواه من أهل الفكر والإعلام، من روَّاد صالة فندق النُّورماندي. وفي إحدى جلسات تلك الصَّالة، والنِّقاش بين المجتمعين يدور حول الولاية الرِّئاسيَّة المجدَّدة للرئيس بشارة الخوري ألقى الزعنِّي قصيدة غير مغنَّاة مطلعها «**جدِّد له ولا تفزع**»:



جَدِّد له، ولا تفزع   خلِّيه قاعد ومربَّع
بيضل أسلم من غيره،   وأضمن للعهد وأنفع
وِشْ عرفناه وجربناه   وعرفنا غايته ومبداه
ووافق هوانا هواه   قدَّام خصمه، يا محلاه
ما زال ظهرت نواياه   ما عاد فيه مانع يمنع
جَدِّد له ولا تفزع   هوي بأمنيته ظفر
ومدامته شبعت سفر   والمحروس نال الوطر
واخوانه شبعوا بطر   ما عاد في منهم خطر
ما عاد إلهم ولا مطمع   جدِّد له، ولا تفزع



٢٦) إنتخب بشارة الخوري في ٢١ أيلول ١٩٤٣. وفي ١١ تشرين الثاني اعتقله الفرنسيون في قلعة راشيا مع رئيس الحكومة رياض الصلح وعدد من أعضاء حكومته، بسبب طلبهم الاستقلال عن سلطة الانتداب الفرنسي على لبنان. ثارت البلاد من هذا الاعتقال حتى أفرج الفرنسيون عن المعتقلين في ٢٢ تشرين الثاني واعترفوا باستقلال لبنان. وضع الخوري مع رياض الصلح «الميثاق الوطني» الذي نظم أسس الحكم في لبنان. شكل في عهده (٩ سنوات) ١٥ حكومة و٩ رؤساء حكومات. وسنة ١٩٥٢ أجبر على الاستقالة بعد مظاهرات ضخمة على خلفية اتهامه بالفساد.



وضجَّت بيروت، ومعها لبنان من أقصاه إلى أقصاه، إذ انطلقت شرارات هذه القصيدة نارًا في هشيم السياسة اللبنانيَّة، مبيِّنة للنَّاس موقف الزعني السِّياسي من إدارة الرئيس الخوري. كانت الإشارات التي أطلقها الزعني شديدة الوضوح، ولم تكن تحتمل أي تأويل أو تمويه أو مواربة. كانت صرخة كبرى في وجه العهد، وهي صرخة ساخرة لكن مبكيَة ومحرِّضة إلى أبعد حد. غضب الرَّئيس ومن معه في إدارة العهد، فأصدر حكمًا قضائيًّا بسجن عمر الزِّعني، وهي المرَّة الأولى التي يواجه فيها عمر الزعني السِّجن.

قُبِضَ على عمر الزِّعني وأُودع في «**سجن الرَّمل**» مع نزلاء في السِّجن من أصحاب الجرائم والسَّوابق. وهنا، شمخ الزعني بكرامته إلى أقصى ما في الشُّموخ من اعتزاز وكِبر: هو ليس بمجرم وليس بسارق ولا بمهرِّب ولا بقاتل بل هو مُدافِعٌ حرٌّ عن حقوق الوطن وحقِّ المواطن، وهو مواجِهٌ فذٌّ للمسؤول الذي لا يراعي مصالح الشعب وحقوقه. وبعد أسابيع قليلة من هذا الإحباط أُصيب الزعنِّي بداء «**السُّكري**» الفتَّاك فضجَّ النَّاس بهذا الأمر، وتوالت الوفود الشَّعبيَّة مطالبة بالإفراج عن عمر الزعني ورفع الظُّلم الذي أحاق به. وبعد أربعين يومًا من الاعتقال في «**سجن الرَّمل**» غادره بعفو خاص أصدرته الحكومة.


عمر الزِّعنّي، إثر خروجه من سجن الرَّمل
مصابًا بداء السُّكري

تابع الزعني إيقاعات الحياة السِّياسيَّة والاجتماعيَّة في لبنان، في خمسينات القرن العشرين، ووجد أن الأمور تشهد تغيُّراتٍ عدة وتنوُّعات كثيرة. ولاحظ أنَّ الأنثى ما عادت سجينة المنزل الأسري بل انطلقت في حريَّة وثقة عالية بالنَّفس، في كثير من مجالات الشَّأن العام ومحطَّات العمل فيه.

ووجد الزعني أن الأنثى في انطلاقتها أخذت تميل إلى تغيير صار يطال بعض قيافتها المعهودة في اللباس وبعض مظاهر السلوك: باتت ترتدي السراويل الخارجية، كالذكور، وتقود السَّيارة وتنطلق مع أصحاب لها بكل حريَّة. إنَّه التغيُّر الاجتماعي الذي طال مظاهر العيش وقيم

الحياة ومفاهيم العصر، وهو ما صوَّره الزعني في قصيدته المغناة «**يم الجاكيت والبنطلون**»:

يَـمْ الجاكيـت والبنطلـون، ... شـفتك واقفـه علـى البلكـون
خمَّنتِـك شـب، يـا مدموزيـل، ... لا تواخذينـي، بـاردون، بـاردون
شـفتك لابسه بيريـه وكاسكيت، ... ودايـره بالسُّـوق بثيـاب البيـت،
من غيره بودره، من غير تواليت، ... وقاصَّـه شـعرك «ألا غرسـون»
خمَّنتِـك شـب، يـا مدموزيـل، ... لا تواخذينـي، بـاردون، بـاردون
وشـفتك طالـع بالليـل وحـدك، ... مـا فـي رجـال ماشـي حـدِّك،
رايحـه جايـه وينمـا بـدِّك، ... طالعه من هون، نازله من هون،
خمَّنتِـك شـب، يـا مدموزيـل، ... لا تواخذينـي، بـاردون، بـاردون
شـفتك مرَّه بعربيَّـة «بويـك»، ... طالعـه بالليـل مـن فيـلاَّ شـيك،
وعلى جنبك ست،شيك وسمباتيك، ... ومعتمايلـــي عالدِّركسـيون،
خمَّنتِـك شـب، يـا مدموزيـل، ... لا تواخذينـي، بـاردون، بـاردون

كانت الحياة السِّياسيَّة في لبنان تعاني كثيرًا من التَّجريب، وكان المجلس النِّيابي اللُّبنانيُّ من أسس هذه الحياة السِّياسيَّة، بل ومن ركائزها الكبرى. فهو السَّاحة الأرحب لتمثيل ناس الوطن على مختلف انتماءاتهم السِّياسيَّة، واختلاف مناطقهم الجغرافيَّة وتعدُّد أديانهم السَّماويَّة وتنوُّع مذاهبهم الرُّوحيَّة. ومن هنا خضع «**المجلس**» إلى تغيُّرات طالت الجانب التَّمثيلي فيه، ومنها العمل المستمرُّ على زيادة عدد النُّوَّاب بادِّعاء تمتين التَّمثيل النِّيابيِّ للشَّعب وتحسين الأداء السِّياسي[٢٧]. ولكن الزعني كان يرى

٢٧) بدأ مجلس النواب في لبنان بتسميات مختلفة: في ٢٢ أيلول ١٩٢٠ كان «**اللجنة الإدارية**»، عدد مقاعده ١٧ ودامت ولايته حتى ٨ آذار ١٩٢٢. تعدلت تسميته سنة ١٩٢٥ إلى «**المجلس التمثيلي**» من ٢٤ أيار ١٩٢٥ حتى نهاية ١٩٢٥ وعدد مقاعده ٣٠؛ ثمَّ أصبح «**مجلس الشيوخ**» من ٢٤ أيار ١٩٢٦ حتى تشرين الأول ١٩٢٧ وعدد مقاعده ١٦ (بانخفاض ١٤ عن المجلس التمثيلي) ثمَّ تتالى العمل بالمجلس وفاقًا لما يلي:
– مجلس النواب الأول، عدد مقاعده ٤٦ من ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٨ حتى ١٣ أيار ١٩٢٩.
– مجلس النواب الثاني من ١٥ تموز ١٩٢٩ حتى ١٠ أيار ١٩٣٢ وعدد مقاعده ٤٥ (بنقصان مقعد واحد).
– مجلس النواب الثالث من ٣٠ كانون الأول ١٩٣٢ حتى ٥ حزيران ١٩٣٧ ،عدد مقاعده ٢٥ (بنقصان عشرين مقعدًا).
– مجلس النواب الرابع من ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٧ وحتى ٢١ أيار ١٩٣٩ وكان عدد مقاعده ٦٢ أي زيادة ٣٧ مقعدًا وحتى هذا التاريخ فإنَّ كل مجالس النواب كانت مختلطة، اي إن عددًا من النواب كان منتخبًا والعدد الآخر كان معينًا.

أنَّ جميع التَّغييرات في عدد النُّوَّاب لم تكن هي الحل الحقيقي لحسن انتظام الفاعليَّة الوطنيَّة للمجلس النِّيابي.

النُّوَّاب كانوا عشرين، عملوهم خمسة وخمسين،
زادوهم سبعة وسبعين، وكمان إم اربعة وأربعين
قالوا بكره ستة وستين ولو صاروا تسعة وتسعين
ودركبوهم عَ الميِّه، الحاله، هيِّيِّ هيِّيِّ

عمر الزِّعنّي في آخر ظهور له،
قبيل وفاته بأسابيع قليلة، سنة ١٩٦١

– مجلس النواب الخامس فكان من ٢١ أيلول ١٩٤٣ حتى ٧ نيسان ١٩٤٧، وعدد مقاعده ٥٥ (على قاعدة أضعاف العدد ١١ وهو الرقم الأساسي الذي يعطي ستة مقاعد للمسيحيين وخمسة مقاعد للمسلمين). ومنذ هذا التاريخ أصبحت المجالس منتخبة بكاملها بدون نواب معينين.
– مجلس النواب السادس من ٢٥ أيار ١٩٤٧ حتى ٣٠ آذار ١٩٥١ وكان عدده كالسابق ٥٥ مقعدًا.
– مجلس النواب السابع من ٥ حزيران ١٩٥١ حتى ٣٠ أيار ١٩٥٣ وأصبح عدد مقاعده ٧٧ مقعدًا.
– مجلس النواب الثامن من ١٣ آب ١٩٥٣ حتى ٢٠ آب ١٩٥٧ وخفض عدد مقاعده إلى ٤٤ مقعدًا.
– مجلس النواب التاسع من ٢٠ آب ١٩٥٧ حتى ١٨ تموز ١٩٦٠ وكانت زيادة عدد مقاعده إلى ٦٦ مقعدًا.
– مجلس النواب العاشر من ١٨ تموز ١٩٦٠ حتى ٨ أيار ١٩٦٤ وتم زيادة مقاعده إلى ٩٩ مقعدًا.
– مجلس النواب الحادي عشر من ٨ أيار ١٩٦٤ حتى ٩ أيار ١٩٦٨ وبقي عدد مقاعده ٩٩ مقعدًا.
– المجلس النيابي الثاني عشر من ٩ أيار ١٩٦٨ وحتى ٣ أيار ١٩٧٢ وبقي عدد مقاعده ٩٩ مقعدًا.

عمر الزعني، السَّاخر الضَّاحك، الشَّاعر والمُلَحِّن الموسيقي، هو نجمُ السَّهرات الاجتماعيَّة ومحورُ اللِّقاءاتِ السِّياسيَّةِ العامَّةِ منها والخاصَّة، عاصر أحداثًا كثيرةً في حياته وعايشَ تغيُّراتٍ دوليَّةٍ واجتماعيَّةٍ وثقافيَّةٍ وسياسيَّةٍ عديدةٍ، هو المثقَّفُ الذي تسنَّى له أن يكون شاهدًا لزمنه وعليه، وها هو يَخْتَصِرُ تجربته الشَّخصيَّة بصورةٍ تحمل كثيرًا من الألمِ والإحباطِ ولكن بِعُمقِ الرُّؤيةِ ورجاحةِ الرَّأي:

وبيقولوا لي، غَنِّي غَنِّي، غَنِّي وفرفِح يا زعنِّي
كيف ممكن غَنِّي وإشرب، واتهنَّى بكاسي وأُطرَب
والجو مسموم ومكهرب، من هالجو ما فيه مهرب
نفسي وروحي عطشانه، وما لي وصول للسَّبيل
بتضحَّك من غير عازه، برقص، وماشي بجنازه،
بِسْكَر، والسَّم بقزازه، وعضام جدودي مازه،
والخشخاشه خمَّاره، والسَّاقي عزرائيل
حياتي هم ونكد، وطول عمري عايش كمد،
ما لي في الدُّنيا سند، وغريب بوسط البلد
محروم لذَّات الدُّنيا، وفي بلادي عايش ذليل



فندق النورماندي في منطقة الزيتونة زمن عمر الزعني